تقوى و قوى بالواو وهو مصدر كما قالوا وقاية يقال وقى يقى وقاية
وقوى فابدلت الواو تاء قوله ما زهد عبد فى الدنيا الحديث
يريد ان الزهد فى الدنيا وان كان للعلم بقبائحها وعيوبها اجمالا من
غير تحقيق فهو يورث الكمال والتحقيق ومزيد اليقين بعيوبها و
ضررها وعلاج دفعه حتى يصير القلب صافيا سالما بالكل وان
كان فى ابتداء الحال زهده فيها مع ادنى شوب ميل وشهوة و
هكذا شان العمل يزيد نوره نور الايمان ويورث التحقيق والكشف
والعيان وان كان فى ابتداء مع شوب التقليد والنقصان وكان
شيخنا رحمه يوصى اصحابه بالتزام العمل ويقول لا ينبغى للطالب ان يوقف
عمله على حصول اليقين والايمان التحقيقى فى الاول بل يشرع بالايمان
التقليدى الذى حصل له فى الجملة فى العمل يحصل ان شاء الله بالمداومة
عليه والجد فيه مرتبة التحقيق والتفصيل فان الايمان يقوى بالعمل
ويزداد العمل بالايمان ويتعاكس انوارهما بالله التوفيق قوله من اخلص
الله قلبه للايمان اى رزقه ايمانا خالصا عن شوب النفاق وجعل
قلبه سليما عن جميع الذمايم والافات وخاليا عن ذكر ما سواه ولسانه
صادقا فيما يعبر عن احواله ويخبر عن مقامه من غير كذب وتاويل
ونفسه مطمئنة مطيعة عاملة ممتثلة للاوامر والنواهى من غير ان يستغنى
بمعرفة عن العمل وخليقته اى طبيعته التى خلق عليها وجبل مستقيمة
وافقة على حد الاستقامة من غير زيغ وميل الى باطل مما سوى الحق
تعالى وتقدس حافظة للمراتب كما يشير اليه قوله بينهما برزخ لا يبغيان
وجعل اذنه اى راسه مستمعا للقول الحق متبعا للاحسن واذن قلبه
متلقيا خطابات الحق فى الاحوال وعينه ناظرة الى دلائل الوحدانية
وشاهده لاحدية الحق تعالى غير زايغة وطاغية بالالتفات الى ما

ماسواه وقد جرى القلم فى شرح هذا الحديث على طريق اهل الاشارة
مع ايماء الى ما يفيده ظاهر العبارة وبالله التوفيق ثم اشار صلى الله
عليه وسلم الى ان طريق وصول العلم الى القلب وحفظه فيه انما هو
السمع والبصر فالاول بقوله فاما الاذن فقمع والقمع بالفتح والكسر
وكعنب ما يوضع فى فم الاناء فيصب فيه الدهن وغيره شبه السمع
فى وصول القول منه الى القلب فى وعيه اياه بالقمع والثانى بقوله
واما العين فمقرة لما يوعى القلب اى يثبت ويقر فى القلب ما ادركته
ورائه والقلب اما مرفوع فاعل يوعى ومفعوله محذوف وهو ضمير
راجع الى ما اى يوعيه ويحفظه القلب او منصوب مفعول يوعى وفاعله
ضمير فيه راجع الى ما اى مقرة لما يجعل القلب وعاء له ويوعى يجى
متعديا ولازما فى القاموس وعاه يعيه حفظه كاوعاه وفى الصحاح
والله اعلم بما يوعون اى يضمرون فى قلوبهم من التكذيب و
اعتبروا تشبيه الاذن بالقمع فى وصول القول الى القلب ليعيه
ثم ذكر فذلكة القرينتين بقوله وقد افلح من جعل قلبه واعيا فدلائل
الوحدانية اما مسموعة او مبصرة فالمسموعة يوصلها الاسماع الى
القلب والمبصرة يوصلها الابصار ويعيها قلوب واعية كذا ذكروا
فى شرح هذا الحديث وهو الموافق للمقصود من الحديث سباقا وسياقا
وقد ذكر فى مجمع البحار نقلا عن النهاية فى حديث ويل لاقماع القول
ويل للمصرين انه شبه استماع من يسمع القول ولا يعيه ولا يحفظه ولا
يعمل به بالاقماع ولا يبقى شيئا مما يفرغ فيها فكانه يمر عليها مجازا كما يمر
الشراب فى الاقماع اجتيازا فاعتبروا تشبيه الاسماع بالاقماع فى مرور
الاقوال اليها وعدم ثبوتها فيها وليس فيه قصة كون القلب وعاء
فتدبر قوله على معاصيه اى مع وجود المعاصى اى يعطى العبد العاصى
ما يحب ويحتمل ان يحمل على معنى المقابلة كما يقال اعطاه على عمله يعنى عمل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)